وقال ابن المعتز : (**القريبُ بعداوته بعيدٌ ، والبعيدُ بمودَّته قريبٌ**)[1] .

وقال الشاعر : [من الكامل]

لَمَــودّةٌ ممَّــن يحبُّــكَ مُخلِصــاً خيرٌ منَ الرَّحِمِ القريبِ الكاشحِ

وقال آخر[2] : [من الطويل]

يخونُكَ ذو القُربىٰ مِراراً وربَّما وفىٰ لكَ عندَ العهدِ مَن لا تُناسِبُهْ

فإذا عزم على اصطفاء الإخوان . . سبر أحوالهم قبل إخائهم ، وكشف عن أخلاقهم قبل اصطفائهم ؛ لما تقدَّم من قول الحكماء : (**اسبُرْ . . تخبُرْ**) .

ولا تبعثه الوحدة على الإقدام قبل الخبرة، ولا حسنُ الظنِّ على الاغترار بالتصنُّع ؛ **فإنَّ المَلَق مَصائدُ العقول**[3] ، والنفاقَ تدليسُ الفِطَن ، وهما سجيّة المتصنِّع ، **وليس فيمَن يكون النفاقُ والمَلَقُ بعضَ سجاياه خيرٌ يُرجىٰ** ، ولا صلاحٌ يؤمل .

ولأجل ذلك قالت الحكماء : (**اعرفِ الرجلَ من فعله** ، لا من كلامه ، **واعرف محبّتَه من عينه** ، لا من لسانه)[4] .

وقال خالد بن صفوان : (**إنَّما نفقتُ عند إخواني ؛ لأنِّي لم أستعمل معهم النِّفاق ، ولا قصرت بهم عن الاستحقاق**)[5] .

وقال حمّاد عَجْرَد[6] : [من الكامل]

كَــمْ مــن أخٍ لــكَ لسْــتَ تُنكِــرُهُ مــا دُمــتَ مــن دنيــاكَ فــي يُسْــرِ
مُتصنِّــعٍ لــكَ فــي مــودّتِــهِ يلقــاكَ بــالتَّــرحيــبِ والبِشْــرِ
فــإذا عــدا والــدَّهــرُ ذو غِيَــرٍ دهــرٌ عليــكَ عــدا مــع الــدَّهــرِ

---

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٥) .
(٢) البيت في « ديوان بشار » (٤/ ١٦) .
(٣) **الملق** : القول الحسن مع خبث القلب .
(٤) لأن العين رائد القلب ، واللسان ترجمانه ، وفي المثل : (رُبَّ عينٍ أنم من لسان) .
(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٢) .
(٦) أورد الأبيات في « التذكرة الحمدونية » (٤/ ٣٧٤) ، و« الشعر والشعراء » (٢/ ٧٨٠) .

فـارفـضْ بـإجمـالٍ مـودّةَ مَـن يَقلـي المُقِـلَّ ويعشـقُ المُثـرِي
وعليـكَ مَـنْ حـالاهُ واحـدةٌ فـي العُسـر إمّـا كنـتَ واليُسْـرِ

علىٰ أنَّ الإنسان موسومٌ بسِيماء مَن قارب ، ومنسوب إليه أفاعيلُ مَن صاحب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **المرءُ معَ مَن أحبَّ** »(١) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (**الصاحبُ مناسِب**)(٢) .

وقال عبد الله بن مسعود : (ما شيءٌ أدلَّ علىٰ شيءٍ ، **ولا الدخانُ على النار من الصاحب على الصاحب**)(٣) .

وقال بعض الحكماء : (**اعرف أخاك بأخيه قبلَك**)(٤) .

وقال بعض الأدباء : (**يُظَنُّ بالمرء ما يُظَنُّ بقرينه**)(٥) .

وقال عديّ بن زيد(٦) : [من الطويل]

عنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وسَلْ عن قرينِهِ فكـلُّ قـريـنٍ بـالمُقـارَنِ يقتـدِي
إذا كنتَ في قومٍ فصاحبْ خيارَهُم ولا تصحبِ الأردىٰ فتردىٰ معَ الردي

فلزم من هـٰذا الوجه أيضاً(٧) : أن يتحرَّز من أخلاَّء السوء ، ويُجانب صحبةَ أهل الريب ؛ ليكون موفورَ العِرض ، سليمَ الغيب ، **فلا يُلام بلائمةِ غيره** ، وهـٰذا قبل التثبُّت والارتياء ومداومة الاختبار والابتلاء . . متعذِّرٌ بل مُعوِز .

وقـد ضرب ذو الرُّمّة مثلاً بالغـاً فيمَـن حَسُن ظاهرُه وخَبُث باطنـه ، فقـال(٨) : [من الطويل]

ألـم تَـرَ أنَّ المـاءَ يخبُـثُ طَعمُـهُ وإنْ كان لونُ الماءِ أبيضَ صافيا

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
(٢) أورده في « شرح نهج البلاغة » (١٦/ ١١٧) ، ونسبه في « العقد الفريد » (٣/ ٧٦) لأكثم بن صيفيّ .
(٣) أورده في « الصداقة والصديق » (ص ٤٠) ، و« البصائر والذخائر » (٧/ ١٧٩) .
(٤) أورده في « الكشكول » (٢/ ٤٢١) .
(٥) أورده الجاحظ في « رسائله » (١/ ١٢٦) .
(٦) انظر « ديوانه » (ص ١٠٦) ، وفي (أ) : (وأبصرْ قرينَه) .
(٧) وهو الهلاك مع الهالكين .
(٨) البيت في « ديوانه » (٣/ ١٩٢١) ، وذو الرمة ـ بضم الراء وقد تكسر ـ : هي في الأصل قطعة حبلٍ =

ونظر بعض الحكماء إلىٰ رجلٍ سوءٍ حسنِ الوجه ، فقال : (**أمّا البيتُ . . فحسنٌ ، وأمّا الساكنُ . . فرديءٌ**)[1] .

فأخذ جَحْظَةُ هٰذا المعنىٰ فقال[2] : [من الخفيف]

ربِّ مـا أبيـنَ التبـايُـنَ فيـهِ　　　منـزلٌ عـامـرٌ وعقـلٌ خـرابُ

وأنشدني بعض أهل العلم : [من البسيط]

لا تـركنَـنَّ إلـىٰ ذي منظـرٍ حسَـنٍ　　　فـربَّ رائقـةٍ قـد سـاءَ مَخبـرُهـا
مـا كـلُّ أصفـرَ دينـارٌ تصـرِّفُـهُ　　　صُفرُ العقاربِ أدهاها وأنكرُها

ثم قد تقدَّم من كلام الحكماء : (**مَن لم يقدِّم الامتحانَ قبل الثقة ، والثقةَ قبل الأنس . . أثمرت مودّتُه ندماً**)[3] .

وقال بعض البلغاء : (**مصارمةٌ قبل اختبار أفضلُ من مؤاخاةٍ على اغترار**) .

وقال بعض الأدباء : (**لا تثِقْ بالصديق قبل الخبرة ، ولا توقعْ بالعدوِّ قبل القدرة**)[4] .

وقال بعض الشعراء[5] : [من البسيط]

لا تحمَـدَنَّ امـرأً حتّـىٰ تُجـرِّبَـهُ　　　ولا تـذُمَّنَّـهُ مِـن غيـرِ تجـريـبِ
فحَمـدُكَ المـرءَ مـا لـم تَبلُـهُ خطـأٌ　　　وذَمُّكَ المرءَ بعدَ الحمدِ تكذيبُ

* * *

= بالية ، قيل : علقت له تميمة في صغره فلُقب بذلك ، وقيل : لقبته محبوبته (مي) عندما استسقاها وعلىٰ كتفه قطعة حبل بالية ، فقالت له : اشرب يا ذا الرمة ، فكان أحب أسمائه إليه ، واسمه : غيلان بن عقبة . انظر « منهاج اليقين » (ص ٢٩٩) .

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٦) ، و« البصائر والذخائر » (٢/ ٩٤) .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص٤٢) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٤) ، و« التذكرة الحمدونية » (٤/ ٣٦٣) من قول جعفر بن محمد رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده في « لباب الآداب » (ص ٦٠) .

(٥) البيتان لأبي الأسود الدؤليّ في « ديوانه » (ص ٣٨٧) ، وفي (هـ) : (وذمُّه بعدَ حمدٍ شرُّ تكذيبِ) بلا إقواء .

فإذْ قد لزم من هـٰذين الوجهين سبرُ الإخوان قبل إخائهم[1] ، وخبرةُ أخلاقهم قبل اصطفائهم . . **فالخصالُ المعتبرة في إخائهم** بعد المجانسة التي هي أصل الاتفاق **أربعُ خصال** :

فالخصلة الأولىٰ : عقلٌ موفور يهدي إلىٰ مراشد الأمور ؛ **فإنَّ الحُمقَ لا تثبت معه** مودَّة ، ولا تدوم لصاحبه استقامة .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **البَذاءُ لُؤمٌ ، وصحبةُ الأحمقِ شُؤمٌ** »[2] .

وقال بعض الحكماء : (**عداوةُ العاقل أقلُّ** ضرراً من مودّة الأحمق)[3] لأنَّ الأحمق ربَّما ضرَّ وهو يقدِّر أنه ينفع ، **والعاقل** لا يتجاوز الحدَّ في مضرّته ، **فمضرّتُه لها حدٌّ** يقف به عليه العقل ، **ومضرّةُ الجاهل ليست بذات حدٍّ** ، فالمحدود أقلُّ ضرراً من غير المحدود .

وقال المنصور للمسيِّب بن زهير : (**ما مادّةُ العقل ؟** فقال : **مجالسةُ العقلاء**) .

وقال بعض البلغاء : (**من الجهل** : صحبةُ ذوي الجهل ، **ومن المِحَال** : مجادلةُ ذوي المِحال)[4] .

وقال بعض الأدباء : (**مَن أشار عليك باصطناع جاهلٍ أو عاجزٍ . . لم يخلُ** :

---

(١) **الوجهين** ؛ أي : المدح والذم .

(٢) كذا أورده في « محاضرات الأدباء » (٢/ ٤٤) ، وروىٰ أوله ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٣٢٣) ، والخرائطي في « مساوىء الأخلاق » (٦٨) ، وباقيه أورده في « كنز العمال » (٤٤٢١٥) ، و« شرح نهج البلاغة » (٢٠/ ٢٧١) من وصية سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) رواه الخطّابي في « العزلة » (ص ٥٧) عن بعض الأعراب ، وأورده في « نهاية الأرب » (٣/ ٣٥٥) من قول سهل بن هارون رحمه الله تعالىٰ .

(٤) أورده في « نهاية الأرب » (٦/ ١٣٢) ، ومن **المِحال** ـ علىٰ وزن كتاب ـ يجيء لمعانٍ مثل : الكيد ، وتسخير أمر بالحيلة ، والتدبير والقدرة ، والعذاب والعقاب ، **ومجادلة ذوي المحال** : هو إما **بكسر الميم** أيضاً ؛ **فالمعنىٰ** : من الهلاك أو العذاب والعقاب مجادلة أصحاب التدبير والعقل ، **أو بفتحها** : جمع (محل) أي : مجادلة أرباب المنازل وأصحاب المناصب .

إمّا أن يكون صديقاً جاهلاً ، أو عدوّاً عاقلاً ؛ **لأنّه يشير بما يضرُّ بك** ، ويحتال فيما يضع منك) .

وقال بعض الشعراء[1] : [من الوافر]

إذا مــا كنــتَ متَّخِــذاً خليــلاً ... فــلا تثِقَــنْ بكــلِّ أخــي إخــاءِ
فــإن خُيِّــرتَ بينهُــمُ فــألصِــقْ ... بــأهــلِ العقــلِ منهُــمْ والحيــاءِ
فــإنَّ العقــلَ ليــس لــه إذا مــا ... تفــاضلَــتِ الفضــائلُ مِــن كِفــاءِ

* * *

والخصلة الثانية : الدِّين الواقف بصاحبه على الخيرات ؛ **فإنَّ تاركَ الدِّين عدوُّ نفسه** ، فكيف يُرجىٰ منه مودّةُ غيره ؟!

وقال بعض الحكماء : (**اصطفِ منَ الإخوان ذا الدِّين والحسَب** ، والرأي والأدب ؛ **فإنَّهم رِدْءٌ لك عند حاجتك** ، ويدٌ عند نائبتك ، **وأنسٌ عند وحشتك** ، وزَينٌ عند عافيتك) .

وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالىٰ عنه[2] : [من الوافر]

أخِــلاّءُ الــرَّخــاءِ هُــمُ كثيــرٌ ... ولٰكــنْ فــي البَــلاءِ هُــمُ قليــلُ
فــلا يغــرُرْكَ خُلّــةُ مَــن تُــؤاخِــي ... فمــا لــكَ عنــدَ نــائبــةٍ خليــلُ
وكــلُّ أخٍ يقــولُ أنــا وفــيٌّ ... ولٰكــنْ ليــسَ يفعــلُ مــا يقــولُ
ســوىٰ خِــلٍّ لــه حسَــبٌ ودِيــنٌ ... فــذاكَ لمــا يقــولُ هــو الفَعُــولُ

وقال آخر : [من الكامل]

مَــن لــم تكــنْ فــي الله خُلّتُــهُ ... فخليلُــهُ منــهُ علــىٰ خَطَــرِ

* * *

والخصلة الثالثة : أن يكون محمودَ الأخلاق ، مرضيَّ الأفعال ، **مؤثراً**

---

(١) أورد الأبيات في « البيان والتبيين » (١/ ٢٤٤) ، و« الأغاني » (١٩/ ٦٦٥٣) لأبي عطاء السِّنديّ .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥٠٦) .

للخير ، آمراً به ، كارهاً للشرِّ ، ناهياً عنه ؛ فإنَّ مودّة الشرِّير تكسب الأعداءَ ، وتفسد الأخلاق ، ولا خيرَ في مودّةٍ تجلب عداوة ، وتورث مذمّةً وملامة ؛ فإنَّ المتبوعَ تابعٌ صاحبَه[١] .

وقال عبد الله بن المعتزّ : (إخوانُ السوء كشجر النار يُحرق بعضُه بعضاً)[٢] .

وقال بعض الحكماء : (مخالطةُ الأشرار خطَرٌ ، والصبرُ علىٰ صحبتهم كركوب البحر ، الذي مَن سلم ببدنه من التلَف فيه . . لم يسلم بقلبه من الحذر منه)[٣] .

وقيل : (صحبةُ الأشرار تورث سوءَ الظنِّ بالأخيار)[٤] .

وقال بعض البلغاء : (إنَّ من خير الاختيار صحبةَ الأخيار ، ومن شرِّ الاختيار صحبةَ الأشرار) .

وقال بعض الشعراء وهو سراقةُ البارقيُّ[٥] : [من الوافر]

مُجالسةُ السَّفيهِ سَفاهُ رأيٍ ... ومن عقلٍ مُجالسةُ الحليمِ
فإنَّكَ والقرينَ معاً سواءٌ ... كما قُدَّ الأديمُ مِنَ الأديمِ

والخصلة الرابعة : أن يكون من كلٍّ واحدٍ منهما ميلٌ إلىٰ صاحبه ، ورغبةٌ في مؤاخاته ؛ فإنَّ ذلك أوكدُ لحال المؤاخاة ، وأمدُّ لأسباب المصافاة ؛ إذ ليس كلُّ مطلوب إليه طالباً ، ولا كلُّ مرغوبٍ إليه راغباً ، ومَن طلب مودّةَ ممتنعٍ عليه ،

---

(١) في (أ) : (فإن المسبوع سابع صاحبه) ، والمسبوع : من يُرمىٰ بالقول القبيح ، يقال : هو أرقع من مسبوع .
(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٤٦٤) ، و« تحسين القبيح » (ص ١٠٤) ، و« التذكرة الحمدونية » (٤/ ٣٦١) ، وفي (هـ) : (كشجر النارنج) .
(٣) أورده في « نثر الدرّ » (٤/ ١٩٦) .
(٤) أورده في « كليلة ودمنة » (ص١٣٧) ، و« الإمتاع والمؤانسة » (ص٣٦٤) .
(٥) البيتان في « ديوانه » (ص٤٧) .

ورغب إلىٰ زاهدٍ فيه . . كان معنّىً خائباً ؛ كما قال البحتريّ[1] : [من الكامل]

وطلبتُ منكِ مودّةً لم أُعطَها إنَّ المُعنَّىٰ طالبٌ لا يظفَرُ

وقال العبَّاس بن الأحنف[2] : [من الطويل]

فإنْ كان لا يُدنيكَ إلا شفاعةٌ فلا خيرَ في وُدٍّ يكونُ بشافعِ
فأُقسِمُ ما تَرْكي عتابَكَ عن قِلىً ولٰكنْ لعِلمي أنَّهُ غيرُ نافعِ
وأنِّي إذا لم أَلزمِ الصَّبرَ طائعاً فلا بدَّ منه مُكرَهاً غيرَ طائعِ

فإذا استكملت هٰذه الخصال في إنسانٍ . . وجب إخاؤه ، وتعيَّن اصطفاؤه ، وبحسَب وُفورها فيه يجب أن يكون الميل إليه ، والثقة به ، وبحسَب ما يرىٰ من غلبة إحداها عليه يجعله مستعملاً في الخُلق الغالب عليه ؛ فإنَّ الإخوان علىٰ طبقات مختلفة ، وأنحاء متشعِّبة ، ولكلِّ واحدٍ منهم حال يختصُّ بها في المشاركة ، وثُلْمة يسدُّها في المؤازرة والمظافرة ، وليس تتفق أحوالُ جميعِهم علىٰ حدٍّ واحد ؛ لأنَّ التباين في الناس غالب ، واختلافهم في الشِّيَم ظاهر .

وقد قال بعض الحكماء : (الرجال كالشجر ؛ شرابه واحد ، وثمره مختلف) .

وأخذ هٰذا المعنىٰ منصور بن إسماعيل الفقيه فقال[3] : [من الهزج]

بَنُو آدمَ كالنَّبْتِ ونَبْتُ الأرضِ ألوانُ
فمنهُ شجَرُ الصَّنْدَلِ والكافورُ والبانُ
ومنهُ شجَرٌ أفضَلُ ما يحملُ قطْرانُ

ومَن رام إخواناً تتفق أحوالُ جميعهم . . فقد رام أمراً متعذِّراً ؛ بل لو اتفقوا . .

---

(١) البيت في « ديوانه » (٢/ ١٠٧٠) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٩٧) .

(٣) أورد الأبيات في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٧٥) ، والمعنى : الرجال كالنبات ؛ فمنهم : رجال ينتفع بهم الأحياء كالصندل ، ومنهم : من ينتفع بهم الأموات كالكافور ، ومنهم : من ينتفع بهم المرضىٰ كالبان ، ومنهم : من نفعه قليل وأذيته أكثر كالقطران .

لكان ربما وقع به خلَل في نظامه ؛ إذ ليس الواحد من الإخوان يمكن الاستعانة به في كل حال ، ولا المجبولون على الخُلق الواحد يمكن أن يتصرَّفوا في جميع الأعمال ، وإنَّما بالاختلاف يكون الائتلاف .

وقد قال بعض الحكماء : (ليس بلبيب مَن لم يعاشر بالمعروف مَنْ لم يجدْ من معاشرته بدّاً)[1] .

وقال المأمون : (الإخوانُ ثلاث طبقات : طبقةٌ كالغذاء لا يُستغنىٰ عنه ، وطبقةٌ كالدواء يُحتاج إليه أحياناً ، وطبقةٌ كالداء لا يُحتاج إليه أبداً)[2] .

ولعَمري ؛ إنَّ الناس علىٰ ما وصفهم لا الإخوان ، وليس مَن كان منهم كالداء من الإخوان المعدودين ، بل هم من الأعداء المحذورين ، وإنما يُداجَون بالمودّة استكفافاً لشرِّهم[3] ، وتحرُّزاً من مكاشفتهم ، فدخلوا في أعداد الإخوان بالمظاهرة والمساترة ، وفي الأعداء عند المكاشفة والمجاهرة .

وقد قال بعض الحكماء : (مثَلُ العدوِّ الضاحك إليك كالحنظلة الخضرة أوراقُها ، القاتل مذاقُها)[4] .

وقد قيل في حكم الفرس : (لا تغترنَّ بمقاربة العدو ؛ فإنَّه كالماء ، إنْ أُطِيل إسخانُه بالنار . . لم يمنع من إطفائها)[5] .

وقال يزيد بن الحكم الثقفيُّ[6] : [من الطويل]

تُكاشِرُني كُرْهاً كأنَّكَ ناصحٌ وعينُكَ تُبدي أنَّ صدرَكَ لي دَوِي
لسانُكَ معسولٌ ونفسُكَ عَلْقَمٌ وشرُّكَ مبسوطٌ وخيرُكَ مُلتوِي

---

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٨٨٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٠٤) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (١٩٧) عن محمد ابن الحنفية رحمه الله تعالىٰ .
(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣/٣) ، و« المحاسن والأضداد » (ص ٤٠) .
(٣) يداجَون ؛ أي : يساترون عداوتهم .
(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٣) .
(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٦٣) ، وفي « كليلة ودمنة » (ص ١٩١) .
(٦) أورد الأبيات القالي في « الأمالي » (٦٨/١) ، و« لباب الآداب » (ص ٣٩٧) ، ودَوِيَ صدرُه : ضَغِنَ .

فليتَ كَفافاً كانَ خيرُكَ كلُّهُ ... وشرُّكَ عنّي ما ارتَوى الماءَ مُرتوِي

فإذا خرج مَن كان كالداء من عداد الإخوان.. فالإخوانُ هم الصنفان الآخران ؛ مَن كان منهم كالغذاء ، أو كالدواء ؛ **لأنَّ الغذاء قوام النفس** وحياتها ، **والدواء علاجها** وصلاحها ، **وأفضلهما** مَن كان كالغذاء ؛ **لأنَّ الحاجة إليه أعمُّ** .

وإذا تميَّز الإخوان.. وجب أن يُنزَّل كلُّ واحدٍ منهم حيث تنزَّلت به أحواله إليه ، واستقرَّت خصاله وخلاله عليه ، **فمَن قويت أسبابه..** قويت الثقةُ به ، **وبحسَب الثقة به يكون الركون إليه** ، والتعويل عليه .

قال الشاعر[1] : [من الكامل]

ما أنتَ بالسَّببِ الضَّعيفِ وإنَّما ... نَجْحُ الأمورِ بقوّةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجتُنا إليكَ وإنَّما ... يُدعى الطَّبيبُ لشدةِ الأوصابِ

وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الإخوان :

فمنهم : مَن يرىٰ أنَّ الاستكثار منهم أَولىٰ ؛ **ليكونوا أقوىٰ منعةً ويداً** ، وأوفرَ تحنُّناً وتودُّداً ، **وأكثرَ تعاوناً وتفقُّداً** .

وقيل لبعض الحكماء : (**ما العيشُ** ؟ فقال : **إقبالُ الزمان** ، وعزُّ السلطان ، **وكثرةُ الإخوان**)[2] .

وقيل : (**حليةُ المرء كثرةُ إخوانه**) .

ومنهم : مَن يرىٰ أنَّ الإقلال منهم أَولىٰ ؛ **لأنَّه أخفُّ أثقالاً وكُلَفاً** ، وأقلُّ تنازعاً وخُلْفاً .

وقد قال الإسكندر : (**المستكثِرُ من الإخوان من غير اختبار** كالمستوقر من

---

(١) البيتان لعلي بن الحسن الباخرزيّ في « ديوانه » (ص ٨٠) ، **ونَجْح الأمور** : الظفر بالحاجة ؛ أي : ما أنت بسبب ضعيف باعتمادنا عليك ، ووثوقنا بك ، وكيف نحسبك ضعيفاً والظفر بالأمور العظام بالأسباب القوية ؟!

(٢) أورده في « المحاسن والمساوىء » (ص ٢٦٩) ، ونحوه في « الصداقة والصديق » (ص ٦٤) عن عبد الملك بن صالح .

الحجارة[1] ، والمقِلُّ من الإخوان المتخيِّرُ لهم كالذي يتخيَّر الجوهر) .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه : (مَن كثر إخوانُه . . كثر غرماؤه)[2] .

وقال إبراهيم بن العبّاس : (مثلُ الإخوان كالنار ؛ قليلُها متاع ، وكثيرُها بَوار)[3] .

ولقد أحسن ابن الروميّ في هٰذا المعنىٰ ، ونبَّه على العلّة حيث يقول[4] : [من الوافر]

عَـدوُّكَ مـن صـديقِـكَ مُستفـادٌ ... فـلا تَستكثِـرَنَّ مـنَ الصِّحـابِ
فـإنَّ الـداءَ أكثـرَ مـا تَـراهُ ... يكـونُ مـنَ الطَّعـامِ أو الشَّـرابِ
فـدَعْ عنـكَ الكثيـرَ فكـم كثيـرٍ ... يُعـافُ وكـم قليـلٍ مُستطـابِ
إذا انقلـبَ الصَّـديـقُ غـدا عـدوّا ... مُبينـاً والأمـورُ لهـا انقـلابُ
فمـا اللُّجَـجُ المِـلاحُ بمُـروِيـاتٍ ... وتَلقى الرِّيَّ في النُّطَفِ العِذابِ

وقال بعض البلغاء : (ليكن غرضُك في اتخاذ الإخوان الأخلاّء واصطناع النُّصَحاء تكثيرَ العُدّة ، لا تكثيرَ العِدّة ، وتحصيلَ النفع ، لا تحصيلَ الجمع ، فواحدٌ يحصِّل به المرادَ . . خيرٌ من ألفٍ يكثِّر الأعدادَ) .

وإذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الأخوّة وأسباب المودّة . . كان وُفور العقل وظهورُ الفضل يقتضي من حال صاحبه قلّةَ إخوانه ؛ لأنَّه يروم مثلَه ، ويطلب شِكْلَه ، وأمثالُه من ذوي العقل والفضل أقلُّ من أضداده من ذوي الحمق والنقص ؛ لأنَّ الخِيار في كل جنسٍ هو الأقلُّ ، فلذلك قلَّ وُفورُ العقل والفضل ؛ وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ،

(١) المستوقر : المتخذ حملاً ثقيلاً من الحجارة .
(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣١) ، و« زهر الآداب » (١/ ٥٥) .
(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص٤٦٢) ، و« البصائر والذخائر » (٩/ ٣٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٣١) ؛ وفيه : (والأمورُ إلى انقلاب) ، وعليه فلا إقواء .

فقلَّ لهٰذا التعليل إخوانُ أهل الفضل ؛ لقلّتهم ، وكثر إخوان ذوي النقص والجهل ؛ لكثرتهم .

وقال الحكيم : (**المرءُ حيث يجعل نفسَه ؛ إنْ صانَها . . ارتفعت ، وإنْ قصَّر بها . . اتَّضعت**)[1] .

وقد قال في ذلك الشاعر[2] : [من الطويل]

لكلِّ امرىءٍ شِكْلٌ منَ الناسِ مثلُهُ ... فـأكثـرُهـم شِكْـلاً أقلُّهُـمُ عَقْـلا
وكـلُّ أُنـاسٍ آلِفـونَ لشِكْلِهِـمْ ... فـأكثـرُهُـمْ عَقـلاً أقلُّهُـمُ شِكْـلا
لأنَّ كثيـرَ العقـلِ ليـسَ بـواجـدٍ ... لـه في طريـقٍ حيـنَ يسلكُـهُ مِثْلا
وكـلُّ سفيـهٍ طـائـشٍ إنْ فقـدتَـهُ ... وجدْتَ له في كلِّ ناحيةٍ عِدْلا

* * *

وإذا كان الأمر علىٰ ما وصفنا . . فقد تنقسم أحوال مَن دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام : منهم : مَن يعين ويستعين ، **ومنهم** : مَن لا يعين ولا يستعين ، **ومنهم** : مَن يستعين ولا يعين ، **ومنهم** : مَن يعين ولا يستعين .

فأمّا المعين المستعين . . فهو معاوِضٌ منصف ؛ **يؤدِّي ما عليه** ، ويستوفي ما له ، **فهو كالمقرِض** ؛ يُسعف عند الحاجة ، ويستردُّ عند الاستغناء ، **فهو مشكورٌ في معونته** ، ومعذورٌ في استعانته ، **وهٰذه أعدل أحوال الإخوان** .

* * *

وأمّا مَن لا يعين ولا يستعين . . فهو متارِك ؛ **قد منع خيره** ، **وقمع شرَّه** ، فلا هو صديق يُرجىٰ ، ولا عدوٌّ يُخشىٰ .

وقد قال المغيرة بن شعبة : (**التاركُ للإخوان متروكٌ**)[3] .

ومَن كان كذلك . . فهو كالصورة الممثَّلة ؛ **يروعك حسنها** ، ويخونك

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (١/ ٦٢٤) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، والقول زيادة من (ج) .
(٢) أورد الأبيات في « الزهرة » (٢/ ٢٩٧) ، والبيتين الأولين في « العزلة » (ص ٤٥) .
(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦١) .

نفعها ، فلا هو مشكور لمنع خيره ، ولا هو مذموم لقمع شره ، وإنْ كان بالذمِّ أجدرَ .

وقال الشاعر[1] : [من الطويل]

وأسوأُ أيّامِ الفتىٰ يومُ لا يُرىٰ ... لـه أحـدٌ يُـزرِي عليـه ويُنكِـرُ

غير أنَّ فساد الوقت وتغيُّر أهله يوجب شكر مَن كان شرُّه مقطوعاً وإنْ كان خيرُه ممنوعاً ؛ كما قال المتنبي[2] : [من البسيط]

إنّـا لَفـي زمـنٍ تَـرْكُ القبيـحِ بـهِ ... مِن أكثرِ النّاسِ إحسانٌ وإجمالُ

وأمّا مَن يستعين ولا يعين . . فهو لئيم كَلٌّ ، ومَهين مستذَلٌّ ، قد قطع عنه الرغبة ، وبسط فيه الرهبة ، فلا خيره يُرجىٰ ، ولا شرُّه يؤمَن ، وحسبُكَ مهانةً برجلٍ يَستثقِلُ عند إقلاله ، ويَستقِلُّ عند استقلاله ، فليس لمثله في الإخاء حظٌّ ، ولا في الوداد نصيب ، وهو ممَّن جعله المأمون من داء الإخوان لا من دوائهم ، ومن سُمِّهم لا من غذائهم[3] .

وقال بعض الحكماء : (شرُّ ما في الكريم : أن يمنعك خيرَه ، وخيرُ ما في اللئيم : أن يكفَّ عنك شرَّه)[4] .

وقال ابن الروميّ[5] : [من الوافر]

عـذَرْنـا النَّخـلَ فـي إبـداءِ شـوكٍ ... يـردُّ بـه الأنـامـلَ عـن جَنـاهُ
فمـا للعَـوسَـجِ الملعـونِ أبـدىٰ ... لنـا شـوكـاً بـلا ثمَـرٍ نَـراهُ

---

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (١/ ٥٢٦) لعبد الملك الحارثيّ .
(٢) البيت في « ديوانه » (٣/ ٢٨٧) .
(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٣/ ٣) ، و« المحاسن والأضداد » (ص ٤٠) .
(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٤) ، و« ربيع الأبرار » (٤/ ٦٠٩) .
(٥) البيتان في « ديوانه » (١/ ١١٣) .

وأمّا مَن يعين ولا يستعين . . فهو كريم الطبع ، مشكور الصنع ، قد حاز فضيلتي الإسداء والاكتفاء ؛ فلا يُرىٰ ثقيلاً في نائبة ، ولا يقعد عن نهضةٍ في معونة ، فهو أشرف الإخوان نفساً ، وأكرمهم طبعاً .

فينبغي لمَن أوجده الزمانُ مثلَه ـ وقلَّ أن يكونَ له مثلٌ ؛ لأنَّه البرُّ الكريم ، والدرُّ اليتيم ـ أن يثني عليه خِنصرَه ، ويعضَّ عليه ناجذَه ، ويكون به أشدَّ ضنّاً منه بنفائس أمواله ، وسَنيِّ ذخائره ؛ لأنَّ نفع الإخوان عامٌّ ، ونفع الأموال خاصٌّ ، وما كان أعمَّ نفعاً . . فهو بالادِّخار أحقُّ .

وقد قال الفرزدق[1] : [من البسيط]

يمضي أخوكَ فلا تلقىٰ لهُ خَلَفاً والمالُ بعدَ ذهابِ المالِ يُكتسَبُ

وقال آخر[2] : [من المنسرح]

لكــلِّ شــيءٍ عــدِمْتَــهُ عِــوَضٌ ومـا لفَقْـدِ الصَّـديـقِ مِـن عِـوَضِ

ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخُلقٍ أو خُلقين يكرههما منه إذا رضي سائر أخلاقه ، وحمد أكثر شِيَمه ؛ فإنَّ اليسير مغفور ، والكمال مُعوِز .

وقد قال الكِنديُّ : (كيف تريد من صديقك خُلقاً واحداً وهو ذو طبائعَ أربع ؟!)[3] .

مع أن نفس الإنسان التي هي أخصُّ النفوس به ، ومدبَّرة باختياره وإرادته . . لا تعطيه قِيادَها في كلِّ ما يريد ، ولا تجيب إلىٰ طاعته في كلِّ ما يحبُّ ، فكيف بنفس غيره ؟ وحسبُك أن يكون لك من أخيك أكثرُه .

وقد قال أبو الدرداء : (معاتبةُ الأخ خيرٌ من فَقْده ، ومَن لك بأخيك كلِّه ؟)[4] .

---

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٧٠) ، و« نهاية الأرب » (٣/ ٧٥) .
(٢) أورده في « دمية القصر » (٢/ ٤١٤) .
(٣) أورده في « أخلاق الوزيرين » (ص ٣٩٠) ، و« الصداقة والصديق » (ص ٧١) من قول انكساغورس .
والطبائع الأربع : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة .
(٤) رواه أبو داوود في « الزهد » (٤٦٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٢١٥) .

فأخذ الشعراء هـٰذا المعنىٰ ، فقال أبو العتاهية[1] : [من مجزوء الكامل]

أَأُخَـيَّ مَـن لـكَ مـن بَنـي الـدُّ ... نيـا بكـلِّ أخيـكَ مَـن لَـكْ
فـٱستبـقِ بعضَـكَ لا يَمَلَّـ ... ـكَ كـلُّ مَـن أَعطَيـتَ كُلَّـكْ

وقال أبو تمّام الطائيّ[2] : [من الرجز]

مـا غُبِـنَ المغبـونُ مثـلَ عَقْلِـهِ ... مَـن لـكَ يـومـاً بـأخيـكَ كلِّـهِ

وقال بعض الحكماء : (طلب الأنصاف من قلّة الإنصاف)[3] .

وقال بعض البلغاء : (لا يزهدنَّكَ في رجلٍ حمِدتَ سيرته ، وارتضيتَ وتيرته ، وعرفتَ فضله ، وبطنتَ عقله . . عيبٌ خفيٌّ يحيط به كثرةُ فضائله ، أو ذنبٌ صغير تستغفرُ له قوّةُ وسائله ؛ فإنَّك لن تجد ما بقيتَ مهذَّباً لا يكون فيه عيبٌ ، ولا يقع منه ذنبٌ ، فاعتبر بنفسك بعد ألا تراها بعين الرضا ، ولا تجريَ فيها علىٰ حكم الهوىٰ ؛ فإنَّ في اعتبارك بها ، وفي اختبارك لها . . ما يؤيِسُك ممّا تطلب ، ويعطفك علىٰ مَن يذنب) .

وقال الشاعر[4] : [من الطويل]

ومَن ذا الذي تُرضىٰ سَجاياهُ كلُّها ... كفـى المرءَ نُبْلاً أنْ تُعَـدَّ مَعـايبُـهْ

وقال النابغة الذُّبيانيُّ[5] : [من الطويل]

ولسـتَ بمُستبْـقٍ أخـاً لا تلُمُّـهُ ... علىٰ شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المُهذَّبُ

وليس ينقض هـٰذا القولُ ما وصفنا من اختياره ، واختبار الخصال الأربع فيه ؛ لأنَّ ما أعوز معفوٌّ عنه .

---

(١) البيتان في « ديوانه » (ص٦١٥) .
(٢) البيت في « ديوانه » (٤/٥٣٠) .
(٣) طلب الأنصاف : جمع نصف ؛ أي : ما فوق الواحد ؛ إذ لا يكون لشيءٍ إلا نصفان ؛ يعني طلب الكل من الصديق ، من قلة الإنصاف ؛ أي : من عدم العدل . انظر « منهاج اليقين » (ص ٣٠٩) .
(٤) البيت في « ديوان علي بن الجهم » (ص ٧٩) ، ونسبه في « منهاج اليقين » (ص ٣٠٩) إلىٰ يزيد بن محمد الباهلي ، ونقل عن الإمام السيوطي : أنه المهلبي ، والله أعلم .
(٥) البيت في « ديوانه » (ص ٧٤) .

وهكذا **لا ينبغي** أن توحشه فترةٌ يجدها منه ، ولا أن يسيء به الظنَّ في نَبْوةٍ تكون منه ، **ما لم يتحقَّق تغيُّرَه** ، ولم يتيقَّن تنكُّرَه ، **وليصرف ذاك إلىٰ فترات النفوس** ، واستراحات الخواطر ؛ **فإنَّ الإنسان قد يفتر عن مراعاة نفسه التي هي** أخصُّ النفوس به ، ولا يكون ذلك من عداوةٍ لها ، ولا ملَلٍ منها .

وقد قيل في منثور الحكم : (**لا يفسدك الظنُّ** علىٰ صديقٍ قد أصلحكَ اليقينُ له)[1] .

وقال جعفر بن محمدٍ لابنه : (**يا بنيَّ ؛ مَنْ غضب من إخوانك ثلاث مرات** ، فلم يقل فيك سوءاً . **فاتخذه لنفسك خِلاًّ**)[2] .

وقال الحسن بن وهب : (**من حقوق المودَّة** : أخذُ عفو الإخوان ، والإغضاءُ عن تقصيرٍ إن كان)[3] .

وقد رُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالىٰ : ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ قال : (**الرِّضا بغير عِتاب**)[4] .

وقال ابن الروميّ[5] : [من الطويل]

هُمُ الناسُ والدُّنيا ولا بدَّ من قَذىً ... يُلِمُّ بعينٍ أو يكدِّرُ مَشرَبا
ومن قلّةِ الإنصافِ أنَّكَ تبتغي الـ ... ـمهذَّبَ في الدنيا ولستَ المهذَّبا

وقال بعض الشعراء[6] : [من الوافر]

تواصُلُنا علىٰ الأيّام باقٍ ... ولٰكنْ هَجْرُنا مَطَرُ الرَّبيعِ
يروعُكَ صَوْبُهُ لٰكنْ تَراهُ ... علىٰ عِلاّتِهِ داني النُّزُوعِ

---

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٤) ، و« زهر الآداب » (٢/ ٨٣٣) من قول ابن المعتز .
(٢) أورده في « تاريخ اليعقوبي » (٢/ ٣٨٣) .
(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٣) .
(٤) رواه في « تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس » (٩٨٥) عنه ، وفي « شعب الإيمان » (٧٩٨٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٥) أورد البيتين في « الصداقة والصديق » (ص ٣١٠) دون نسبة .
(٦) أورد الأبيات في « معجم الأدباء » (١/ ٢٤٨) ، و« مصارع العشاق » (٢/ ١٩٤) لنفطويه إبراهيم بن محمد .

مَعــاذَ اللهِ أنْ نُلفــىٰ غِضــابــاً   ســوىٰ دَلِّ المُطـاعِ علـى المُطيـعِ

وأنشد الأزديُّ[1] : [من الكامل]

لا يـؤيِسَنَّـكَ مـن صـديـقٍ نَبـوةٌ   ينبو الفتىٰ وهو الجَوادُ الخِضْرِمُ

فـإذا نـأىٰ فـاستبقِـهِ وتـأنَّـهُ   حتـىٰ تفـيءَ بـهِ الطبـاعُ الأكـرمُ

وأمّا المَلُول. . فهو السريع التغيُّر ، الوشيكُ التنكُّر ، **فوداده خطَر** ، وإخاؤه غرَر ؛ **لأنَّه لا يبقىٰ علىٰ حالة** ، ولا يخلو من استحالة ؛ وقد قال ابن الروميّ[2] : [من الطويل]

إذا أنـا عـاتبـتُ المَلُـولَ فـإنَّمـا   أخطِّطُ في صُحْفٍ منَ الماءِ أحرُفا

وهَبْهُ ارعَوىٰ بعدَ العِتابِ ألم تكُنْ   مـودّتُـهُ طَبعـاً فصـارت تكلُّفـا

وهم نوعان : **منهم** : مَن يكون ملَلُه استراحة ، ثم يعود إلى المعهود من إخائه ، **فهٰذا أسلمُ الملَلين** ، وأقرب الرجلين ، **يُسامَح في وقت استراحته** ، **وحين فترته** ؛ ليرجع إلى الحسنىٰ ، ويؤوب إلى الإخاء وإن تقدم المثَل بما نظمه الشاعر حيث يقول[3] : [من الطويل]

وقالوا يعودُ الماءُ في النَّهرِ بعدَما   عَفَـتْ منـهُ آثـارٌ وجَفَّـتْ مَشـارِعُـهْ

فقلتُ إلىٰ أن يرجعَ الماءُ عائداً   ويُعشِـبَ شَطّـاهُ تمـوتُ ضَفـادِعُـهْ

ولٰكن لا يُطـرَح حقُّه بالتوهُّم ، **ولا تسقط حرمتُه بالظُّنون** ، وقد قال الشاعر : [من الوافر]

إذا مـا حـالَ عهـدُ أخيـكَ يـومـاً   وحـادَ عـن الطـريـقِ المستقيـمِ

---

(١) أورد البيتين في « التذكرة الحمدونية » (٨/ ١٥٩) ، و« محاضرات الأدباء » (٢/ ٣٧٠) .

(٢) أورد البيتين في « التذكرة الحمدونية » (٥/ ٥٢) ، و« من غاب عنه المطرب » (ص ١٨٧) لأبي الحسن الناشىء الأصغر .

(٣) أورد البيتين في « يتيمة الدهر » (٣/ ٤٨٣) لأحمد بن بندار .

فـلا تعجَـلْ بلَـوْمِـكَ واستـدِمْـهُ   فـإنَّ أخـا الحِفـاظِ المُسـتـديـمِ[1]
فـإنْ تَـكُ زَلَّـةٌ منـهُ وإلا   فـلا تبعُـدْ عـن الخُلُـقِ الكـريـمِ

ومنهم : مَن يكون ملَلُه تركاً واطِّراحاً ، لا يراجع إخاءً ولا ودّاً ، ولا يتذكَّر حفاظاً ولا عهداً ؛ كما قال الأشجع بن عمرو السُّلَميُّ : [من الكامل]

إنِّـي رأيـتُ لهـا مُـواصَلـةً   كـالسُّـمِّ تُفـرِغُـه علـى الشَّهـدِ
فـإذا أخـذتُ بعهـد ذِمّتِهـا   لعِـبَ الصُّـدودُ بـذلـكَ العَهـدِ

وهٰذا أذمُّ الرجلين حالاً ؛ لأنَّ مودّته من وساوس الخطرات ، وعوارض الشهوات ، وليس إلا استدراك الحال معه بالإقلاع قبل الخِلْطة ، أو حسن المُتارَكة بعد الورطة ؛ كما قال العبّاس بن الأحنف : [من المتقارب]

تـداركْـتُ نفسـي فعـزَّيْتُهـا   ونغَّصتُهـا فيـكَ آمـالَهـا
ومـا طـابـتِ النفسُ عـن سَلْـوةٍ   ولٰكـنْ حمَلـتُ عليهـا لَهـا

وما مثَلُ مَن هٰذه حالُه إلا كما قال إبراهيم بن هَرْمة[2] : [من الوافر]

فـإنَّكَ واطِّـراحَـكَ وَصْـلَ سلمـىٰ   لأُخـرىٰ فـي مـودّتهـا نُكُـوبُ
كثـاقبـةٍ لحَلْـي مُستعـارٍ   لأُذْنَيهـا فشـانَتْهـا الثُّقُـوبُ
فـأدَّتْ حَلْـيَ جـارتِهـا إليهـا   وقـد بقِيَـت بـأُذْنَيهـا نُـدُوبُ

فإذا صفَت عنده أخلاقُ مَن سبره ، وتمهَّدت لديه أحوالُ مَن خبره ، وأقدم على اصطفائه أخاً ، وعلى اتِّخاذه خِدْناً . . لزمته حينئذٍ حقوقُه ، ووجبت عليه حرماتُه ، فقد قال عمرو بن مسعدة : (العبوديّة عبوديّة الإخاء ، لا عبوديّة الرِّقِّ)[3] .

---

(1) الحفاظ المستديم : المصدر بمعنى الفاعل ، وإضافته من إضافة الصفة إلىٰ مفعوله ، يعني : لا تعجل في لومه ، وتأنَّ فيه ؛ فإن أخا المحافظ للاستدامة مستديمٌ كأخيه علىٰ ما هو حكم المقارنة وقاعدة الإضافة ، فالخبر محذوف ولا إقواء في القافية . انظر « منهاج اليقين » (ص ٣١٢) .
(2) الأبيات في « ديوانه » (ص ٦٨) .
(3) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٢) .

وقال بعض الحكماء : (مَن جاد لك بمودّته . . فقد جعلك عَديلَ نفسِه) .

فأوّلُ حقوقه : اعتقادُ مودّته ، ثم إيناسُه بالانبساط إليه في غير محرَّم ، ثم نصحُه في السرِّ والعلانية ، ثم تخفيفُ الأثقال عنه ، ثم معاونتُه فيما ينوبه من حادثة ، أو يناله من نكبة ؛ فإنَّ مراقبته في الظاهر نفاق ، وتركه في الشدّة لؤم[1] .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيرُ أصحابِكَ : المُعِينُ لكَ علىٰ دَهْرِكَ ، وشرُّهُمْ : مَن سعىٰ لكَ بسوقِ يومِهِ »[2] .

وقيل : يا رسولَ الله ؛ أيُّ الأصحاب خيرٌ ؟ قال : « الذي إذا ذكَرْتَ . . أعانَكَ ، وإذا نسِيتَ . . ذكَّرَكَ »[3] .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (خيرُ إخوانك : مَن واساك ، وخيرٌ منه : مَن كفاك)[4] .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : (اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذ بك ممَّن لا يلتمس خالص مودَّتي إلا بموافقة شهوتي ، وممَّن يساعدني علىٰ سرور ساعتي ، ولا يفكِّر في حوادث غدي)[5] .

وقال بعض الحكماء : (عقودُ الغادر محلولة ، وعهوده مدخولة) .

وقال بعض البلغاء : (ما وَدَّكَ مَن أهمل وُدَّك ، ولا أَحبَّكَ مَن أبغض حِبَّك) .

وقال بعض الشعراء[6] : [من الطويل]

وكلُّ أخٍ عندَ الهُوَينا مُلاطِفٌ ... ولٰكنَّما الإخوانُ عندَ الشَّدائدِ

---

(١) في (ب) : (وتركه في السرِّ لؤم) .
(٢) رواه في « الصداقة والصديق » (ص ٢٥٦) من قول موسى بن جعفر رحمه الله تعالىٰ .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٤٢) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .
(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٠) ، و« زهر الآداب » (١/ ٤٣) .
(٥) أورده في « عيون الأخبار » (١/ ٣١) ، و« التذكرة الحمدونية » (٣/ ٣٠٣) من قول ابن هبيرة رحمه الله تعالىٰ .
(٦) البيت لأبي الأسود الدؤليّ في « ديوانه » (ص ٣٥٤) .

وقال صالح بن عبد القدّوس[1] : [من البسيط]

شرُّ الأخلاّءِ مَن كانت مودّتُهُ ... معَ الزّمانِ إذا ما خافَ أو رَغِبا
إذا وَتَرتَ امرأً فاحذَرْ عداوتَهُ ... مَن يزرَعِ الشّوكَ لا يحصُدْ به عِنَبا
إنَّ العدوَّ وإنْ أبدىٰ مُسالَمةً ... إذا رأىٰ منكَ يوماً فُرْصةً وَثَبا

وينبغي أن يتوقّى الإفراط في محبّته ؛ فإنَّ الإفراط داعٍ إلى التقصير ، ولأَنْ تكونَ الحالُ بينهما نامية . . أَولىٰ من أن تكون متناهية .

وقد روى ابن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **أَحبِبْ حبيبَكَ هَوْناً ما** ، عسىٰ أن يكونَ بغيضَكَ يوماً ما ، **وأبغِضْ بغيضَكَ هَوْناً ما** ، عسىٰ أن يكونَ حبيبَكَ يوماً ما »[2] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه : (**لا يكنْ حبُّكَ كلَفاً ، ولا بغضُكَ تلَفاً**)[3] .

وقال أبو الأسود الدؤَليُّ[4] : [من الطويل]

وكُنْ مَعدِناً للخيرِ واصفَحْ عنِ الأذىٰ ... فإنّكَ راءٍ ما عمِلْتَ وسامِعُ
وأحبِبْ إذا أحببْتَ حبّاً مُقارِباً ... فإنّكَ لا تدري متىٰ أنتَ نازِعُ
وأبغِضْ إذا أبغضْتَ غيرَ مُبايِنٍ ... فإنّكَ لا تدري متىٰ أنتَ راجِعُ

وقال عديّ بن زيد[5] : [من الطويل]

ولا تأمنَنْ من مُبغِضٍ قربَ دارِهِ ... ولا من مُحبٍّ ؛ أن يمَلَّ فيبعُدا

وإنّما يلزم من حقِّ الإخاء : بذلُ المجهود في النصح ، والتناهي في رعاية ما بينهما من الحقِّ ؛ **فليس في ذلك إفراطٌ** وإن تناهىٰ ، **ولا مجاوزةُ حدٍّ** وإن كثر

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٣٦) .
(٢) رواه الترمذي (١٩٩٧) ، وتمّام الرازيّ في « فوائده » (١١٩٣) ، والهَوْن : مصدر بمعنى السكينة ، و(ما) : زائدة للتقليل ، أو إبهامية تزيد النكرة شياعاً .
(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (١٣٢٢) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٢٦٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٠٤) .
(٥) البيت في « ديوانه » (ص ١٢١) ، وقوله : (أن يملَّ) معناه : خشيةَ أن يملَّ .

وأوفىٰ ، وتستوي حالتاهما في المَغيب والمَشهد ، ولأن يكون مَغيبُهما أفضلَ من مشهدهما . . أَولىٰ ؛ فإنَّ فضل المشهد على المغيب لؤمٌ ، وفضل المغيب على المشهد كرم ، واستواؤهما حفاظ .

وقال بعض الشعراء[1] : [من الطويل]

عليَّ لإخواني رقيبٌ منَ الصَّفا تَبيدُ اللَّيالي وَهْوَ ليسَ يَبيدُ
يُذكِّرُنيهِمْ في مَغيبي ومَشهَدي فسِيَّانِ منهُمْ غائبٌ وشهيدُ
وإنِّي لأستحيِي أخي أنْ أبرَّهُ قريباً وأنْ أجفُوْهُ وَهْوَ بعيدُ

وهكذا يقصد التوسُّط في زيارته وغشيانه غيرَ مقلِّلٍ ولا مكثر ؛ فإنَّ تقليل الزيارة داعية الهجران ، وكثرتها سبب المَلال .

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرةَ ؛ زُرْ غِبّاً . . تزدَدْ حُبّاً »[2] .

وقال لبيد : [من الوافر]

توقَّفْ عن زيارةِ كلِّ يومٍ إذا أكثرتَ ملَّكَ مَن تزُورُ

وقال آخر[3] : [من الطويل]

عليكَ بإقلالِ الزيارةِ إنَّها إذا كثُرتْ كانت إلى الهَجْرِ مَسلَكا
ألم ترَ أنَّ الغيثَ يُسأَمُ دائماً ويُسأَلُ بالأيدي إذا هو أمسكا

وقال آخر[4] : [من الكامل]

أقلِلْ زيارتَكَ الصَّديقَ ولا تُطِلْ هِجْرانَهُ فيلجَّ في هجرانِهِ
إنَّ الصَّديقَ يلجُّ في غِشيانِهِ لصديقه فيمَلُّ من غِشيانِهِ

---

(١) أورد الأبيات في « الحماسة البصريّة » (٢/ ٨٣٩) للحارث المخزوميّ .
(٢) رواه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣/ ٢٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٠٠٨) ، والبزّار في « مسنده » (٩٣١٥) .
(٣) أورد البيتين في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٣) ، و« ديوان المعاني » (٢/ ٢٣٩) ، ونسبهما في « وفيات الأعيان » (٥/ ٢٧٧) لعبد المنعم بن غلبون المصريّ ، وهما زيادة من (ج) .
(٤) الأبيات لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٤٠١) .

حتّىٰ تراهُ بعدَ طولِ سرورِهِ بمكانِهِ مُتثاقلاً بمكانِهِ
وإذا توانىٰ عن صيانةِ نفسِهِ رجلٌ تُنُقِّصَ واستُخِفَّ بشانِهِ

وبحسَب ذلك فليكن في عتابه ؛ فإنَّ كثرة العتاب سببٌ للقطيعة ، واطِّراحَ جميعه دليلٌ علىٰ قلَّة الاكتراث بأمر الصديق ، وقد قيل : (**علَّة المعاداة قلَّة المبالاة**)(١) .

بل يتوسَّط حالتي تركه وعتابه ـ فإنَّ ذلك أدومُ لإخائهما ، وأحفظُ لصفائهما ـ **فيسامح بالمتاركة** ، ويستصلح بالمعاتبة ؛ **فإنَّ المسامحة والاستصلاح** إذا اجتمعا . . **لم يلبث معهما نفور** ، ولم يبقَ معهما وَجْد .

وقد قال بعض الحكماء : (**لا تكثرَنَّ معاتبةَ إخوانك . . فيهونَ عليهم سخطُك**) .

وقال منصور النَّمَريُّ(٢) : [من الكامل]

أقلِلْ عِتابَ منِ استرَبْتَ بودِّهِ ليسَتْ تُنالُ مودّةٌ بعِتابِ

وقال بشار بن برد(٣) : [من الطويل]

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِباً صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتبُهْ
وإنْ أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذىٰ ظمِئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مَشاربُهْ
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنَّهُ مُقارِفُ ذنبٍ مرةً ومُجانِبُهْ

ثمَّ من حقِّ الإخوان : أن تغفر هفوتهم ، وتسترَ زلتهم(٤) ؛ **لأنَّ مَن رام بريئاً من الهفوات** ، **سليماً من الزّلّات** . . **رام أمراً مُعوِزاً** ، واقترح وصفاً مُعجِزاً ؛ وقد قالت الحكماء : (**أيُّ عالمٍ لا يهفو** ، وصارمٍ لا ينبو ، **وجوادٍ لا يكبو ؟!**)(٥) .

وقد قال بعض الحكماء : (**مَن حاول صديقاً يأمنُ زلَّته** ، ويدومُ اغتباطُه به . .

---

(١) أورده في « نهاية الأرب » (٦/ ١٠٤) .
(٢) البيت في « ديوانه » (ص ٧٠) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٢٦) .
(٤) في (أ) : (**ثم من حق الإخاء** : أن تغفر هفوته ، وتستر زلَّته) .
(٥) أورده في « المستطرف » (١/ ٢١٨) ، و« التذكرة الحمدونية » (٧/ ٢٦٤) .

كان كضالِّ الطريق الذي لا يزداد لنفسه إتعاباً إلا ازداد من غايته بُعداً)[1] .

وقيل لخالد بن صفوان : (**أيُّ إخوانك أحبُّ إليك ؟ قال : مَن غفر زَلَلي ، وقطع عِلَلي ، وبلَّغني أمَلي**)[2] .

وقال بعض الشعراء[3] : [من الكامل]

ما كدتُ أفحَصُ عن أخي ثِقةٍ ... إلا ذمَمْتُ عواقبَ الفَحْصِ

وأُنشدت عن الربيع للشافعيِّ رحمه الله تعالىٰ[4] : [من الطويل]

أُحبُّ منَ الإخوانِ كلَّ مُؤاتي ... وكلَّ غَضيضِ الطَّرْفِ عن عثَراتي
يُوافِقُني في كلِّ أمرٍ أُريدُهُ ... ويَحفظُني حيّاً وبعدَ وَفاتي
فمَن لي بهٰذا ليتَ أنِّي أصبتُهُ ... فقاسمتُهُ ما لي منَ الحسَناتِ
تصفَّحتُ إخواني فكان أقلُّهم ... علىٰ كثرةِ الإخوانِ أهلَ ثقاتي

وأنشد ثعلب[5] : [من الطويل]

إذا أنتَ لم تستقبلِ الأمرَ لم تجدْ ... لكفَّيكَ في إدبارِهِ مُتعلَّقا
إذا أنتَ لم تترُكْ أخاكَ وزَلّةً ... إذا زلَّها أوشكتُما أنْ تفرَّقا

وحكى الأصمعيُّ عن بعض الأعراب أنه قال : (**تناسَ مساوِئَ الإخوان . . يدُمْ لك ودُّهم**)[6] .

ووصَّىٰ بعضُ الأدباء أخاً له فقال : (**كن للودِّ حافظاً وإنْ لم تجدْ مُحافِظاً ، وللخِلِّ واصلاً وإنْ لم تجدْ مُواصِلاً**)[7] .

---

(١) أورده في « فضل الكلاب علىٰ كثير ممَّن لبس الثياب » (ص ٥) ، و« نثر الدرّ » (٤/ ٢٣٠) .
(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٢٩٤) ، وأورده المبرّد في « الكامل » (٢/ ٦٩٦) .
(٣) البيت لمحمود الورّاق في « ديوانه » (ص ١٣٧) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ٤٣) ، و« مناقب الشافعي » للبيهقي (٢/ ٧٩) ، ونسبت لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٥٩) ، والبيتان الأولان نُسبا لجحظة البرمكيّ في « ديوانه » (ص٥٨) .
(٥) أورد البيتين في « الزهرة » (١/ ١٩٥) ، و« الحماسة البصريّة » (٢/ ٨٦٠) .
(٦) رواه السُّلَميُّ في « آداب الصحبة » (ص ٤٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٦٨٦) .
(٧) أورده في « فيض القدير » (٤/ ١٩٦) .

وقال رجلٌ من إياد ليزيد بن المُهلَّب[1] : [من الطويل]

إذا لـم تَجـاوَزْ عـن أخٍ عنـدَ زَلّـةٍ فلستَ غداً عن عَثرتي مُتجاوِزا
وكيـفَ يُـرجِّيـكَ البعيـدُ لنفعِـهِ إذا كان عن مولاكَ خيرُكَ عاجِزا
ظلمـتَ امـرأً كلَّفتَـهُ فـوقَ وُسْعِـهِ وهلْ كانتِ الأخلاقُ إلا غرائزا

وقال أبو مسعود كاتب الرضا : كنَّا في مجلس الرضا ، فشكا رجلٌ أخاه ، فأنشأ الرضا رحمه الله تعالىٰ يقول : [من مجزوء الكامل]

اعـذِرْ أخـاكَ علـىٰ ذُنُـوبِـهْ واستُـرْ وغَـطِّ علـىٰ عُيـوبِـهْ
واصبِـرْ علـىٰ بَهْـتِ السَّفيـ ـهِ وللـزمـانِ علـىٰ خُطُـوبِـهْ
ودَعِ الجـوابَ تفضُّـلاً وكِـلِ الظَّلُـومَ إلـىٰ حَسيبِـهْ
واعلَـمْ بـأنَّ الحِلْـمَ عنـ ـدَ الغَـيِّ أحسَـنُ مـن رُكـوبِـهْ[2]

* * *

وحُكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحةَ بن عبد الله بن عوف الزُّهريِّ وكان أجودَ قريش في زمانه : (**ما رأيتُ قوماً ألأمَ من إخوانك** ، قال لها : مَهْ ؛ **ولمَ قلتِ ذاك ؟!** قالت : **أراهم إذا أيسرتَ** . . لزموك ، **وإذا أعسرتَ** . . تركوك !! قال : **هـٰذا - والله - من كرَمهم** ؛ يأتوننا في حال القوّة بنا عليهم ، ويتركوننا في حال الضعف منَّا عنهم)[3] .

انظر كيف تأوّل بكرمه هـٰذا التأويل ؛ حتىٰ جعل قبيحَ فعلهم حسناً ، وظاهر غدرهم وفاءً ، **وهـٰذا محض الكرم** ، ولباب الفضل ، **وبمثل هـٰذا يلزم ذوي الفضل أن يتأوَّلوا هفواتِ إخوانهم** .

---

(١) أورد البيتين الأولين في « روضة العقلاء » (٢/ ٦٥٤) ، والثالث في « محاضرات الأدباء » (١/ ٥٧٠) .

(٢) أورده ابن بشران في « أماليه » (٧٩٣) ، وابن النجّار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٩/ ١٣٧) دون البيت الأخير عن ابن أبي مسعود ، عن كاتب الفياض ، عن أبيه قال : (حضرنا مجلس الرضا . . .) ، والأبيات الثلاثة الأولىٰ منسوبة لسيدنا علي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ٨٠) .

(٣) رواه في « روضة العقلاء » (٣٩٣) ، وأورده في « الصداقة والصديق » (ص ١٨٧) .

وقد قال بعض الشعراء[1] : [من الطويل]

أُحبُّ الفتىٰ ينفي الفواحشَ سمعُهُ كـأنَّ بـهِ عـن كـلِّ فـاحشـةٍ وَقْـرا
سليمُ دواعي الصدرِ لا باسطٌ أذىً ولا مـانـعٌ خَيْـراً ولا قـائـلٌ هُجْـرا
إذا شئتَ أن تُدعىٰ كريماً مُعظَّماً حليمـاً ظـريفـاً مـاجـداً فطِنـاً حُـرّا
إذا ما بدَتْ مِن صاحبٍ لكَ زَلّةٌ فكـنْ أنـتَ مُحتـالاً لـزَلّتِـهِ عُـذْرا

والداعي إلىٰ هـٰذا التأويل شيئان : **التغافلُ الحادث عن الفطنة** ، **والتألُّفُ الصادر عن الوفاء** .

وقد قال أكثم بن صيفيّ : (مَن تشدَّد.. نفَّر ، ومَن تراخىٰ.. تألَّف ، **والشرفُ في التغافل**)[2] .

وقال شبيب بن شيبة : (**الأريب العاقل** : هو الفطِن المتغافل)[3] .

وقال بعض الحكماء : (وجدتُ أكثر أمور الدنيا **لا تجوز إلا بالتغافل**) .

وقال أبو تمام الطائيُّ[4] : [من الكامل]

ليـسَ الغبـيُّ بسيِّـدٍ فـي قـومِـهِ لـٰكـنَّ سيِّـدَ قـومِـهِ المُتغـابـي

وقال أبو العتاهية[5] : [من الخفيف]

إنَّ فـي صِحَّـةِ الإخـاءِ مـنَ النَّـا سِ وفـي خُلَّـةِ الـوفـاءِ لَقِلَّـةْ
فألبَسِ النَّاسَ ما استطعْتَ على النَّقْـ ـصِ وإلا لـم تستقِـمْ لـكَ خُلَّـةْ
عِشْ وحيداً إنْ كنتَ لا تقبلُ العُذْ رَ وإنْ كنـتَ لا تُجـاوِزُ زَلَّـةْ

---

(١) أورد الأبيات التبريزيّ في « شرح ديوان الحماسة » (٣/ ١٤٥) ، وهي في « التذكرة الحمدونية » (٤/ ٣٦٦) ما عدا البيت الثالث ، لسالم بن وابصة الأسديّ .

(٢) أورده في « المعمَّرون والوصايا » (ص ٢١) ، و« نهاية الأرب » (٦/ ١٣٦) .

(٣) أورده في « البصائر والذخائر » (٥/ ١٥٢) عن عبد الصمد بن أبي شبيب عن أبيه .

(٤) البيت في « ديوانه » (١/ ٨٧) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ٣٣٨) ، فالبس الناس ؛ أي : عاشرهم علىٰ قدر أخلاقهم ، ولبست فلاناً علىٰ ما فيه ؛ أي : احتملته وقبلته ، وفي المال : المراد به : لازمُهُ وهو الميراث ، وأبناء علة : أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد .

مِـــن أبٍ واحـــدٍ وأمٍّ خُلِقْنـــا　　غيـرَ أنّـا فـي المـالِ أولادُ عَلَّـةْ

وممَّا يتبع هٰذا الفصل[1] تألُّفُ الأعداء بما يثنيهم عن البِغضة ، ويعطفهم على المحبّة ، وذلك قد يكون بصُنوفٍ من البرّ ، ويختلف بحسَب اختلاف الأحوال ؛ فإنَّ ذلك من سمات الفضل ، وشروط السؤدد ، فإنَّه ما أحدٌ يعدم عدوّاً ، ولا يفقد حاسداً ، وبحسَب وُفور النِّعمة تكثر الأعداء والحسدة ؛ كما قال البحتريّ[2] : [من الطويل]

ولن تستبِينَ الدَّهْرَ مَوقِعَ نِعمةٍ　　إذا أنتَ لم تُدْلَلْ عليها بحاسِدِ

فإن أغفل تألُّفَ الأعداء مع وُفور النعمة وظهور الحسد . . توالىٰ عليه من مكر حليمهم وبادِرة سفيههم ما تصير به النعمة غَراماً ، والدَّعة مَلاماً .

وروى ابن المسيِّب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأسُ العَقْلِ بعدَ الإيمانِ باللهِ تعالى التَّودُّدُ إلى الناسِ »[3] .

وقال سليمان بن داوود عليهما السلام لابنه : (لا تستكثِرْ أن يكونَ لكَ ألفُ صديقٍ ، فالألفُ قليلٌ ، ولا تستقِلَّ أن يكونَ لكَ عدوٌّ واحدٌ ، فالواحدُ كثيرٌ)[4] .

فنظم ابن الروميّ هٰذا المعنىٰ فقال[5] : [من الطويل]

تكثَّرْ منَ الإخوانِ ما اسطَعْتَ إنَّهُمْ　　بُطُـونٌ إذا استنجَـدتَهُـمْ وظُهُـورُ

---

(١) وهو المؤاخاة بالمودة .

(٢) البيت في « ديوانه » (١/ ٦٢٥) .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٦٣٧) ، وابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٤٠) ، والقصد بهٰذا الحديث : الحث علىٰ مداراة الناس بكل ما أمكن من الإحساس ، وتحمل أذاهم ، وكف الأذىٰ عنهم وملاطفتهم ، ولفظ (الناس) : عام يشمل الأعداء ، فكما أن الإيمان من أسباب الألفة بين المسلمين . . فالتودد من أسبابها بين جميع الناس .

(٤) كذا رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٣١) ، وفي « عيون الأخبار » (٣/ ١) : أنَّ داوود النبيَّ قاله لابنه سليمان عليهما السلام .

(٥) البيتان ليسا في « ديوانه » ، وهما في « ديوان سيدنا عليّ » (ص ١٣٨) ، و« ديوان الخليل بن أحمد » =

وليس كثيراً ألفُ خِلٍّ وصاحبٍ ... وإنَّ عدوّاً واحداً لَكثيرُ

وقيل لعبد الملك بن مروان : (ما الذي أفدْتَ في ملكك هٰذا ؟ قال : مودّات الرجال) .

وقال بعض الحكماء : (من علامة الإقبال اصطناعُ الرجال)[1] .

وقال بعض البلغاء : (مَن استصلح عدوَّه.. زاد في عَدَده ، ومَن استفسد صديقَه.. نقص من عُدَده)[2] .

وقال بعض الأدباء : (العجَبُ ممَّن يطَّرح عاقلاً كافياً ؛ لِما يضمره من عداوته ، ويصطنع عاجزاً جاهلاً بما يظهره من محبّته ، وهو يقدر على استصلاح مَن يُعاديه بحسن صنائعه وأياديه) .

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : ثلاثةُ أبياتٍ جامعةٌ لكلِّ ما قالته العرب ، وهي للأَفْوه الأَوْديّ : [من الوافر]

بَلَوتُ الناسَ قَرْناً بعدَ قَرْنٍ ... فلم أَرَ غيرَ خَتّالٍ وقالِ
وذُقتُ مَرارةَ الأشياءِ جَمْعاً ... فما طعمٌ أمرَّ منَ السؤالِ
ولم أَرَ في الخُطوبِ أشدَّ هَوْلاً ... وأصعبَ من مُعاداةِ الرجالِ[3]

وقال القاضي التَّنُوخيُّ[4] : [من البسيط]

اِلْقَ العدوَّ بوجهٍ لا قُطُوبَ بهِ ... يكادُ يقطُرُ من ماءِ البَشاشاتِ

=(ص ٩) ، و« ديوان محمود الورّاق » (ص ٢٥٠) ، والبيت الثاني فقط في « ديوان الشافعيّ » (ص ٦٧) .

(١) أورده في « لباب الآداب » (ص ٦٨) نقلاً عن « الفرائد والقلائد » ، و« نهاية الأرب » (٦/ ١٠٣) .

(٢) أورده في « لباب الآداب » (ص ٦٠) ، والقلعيّ في « تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة » (ص ٢٢٥) .

(٣) رواه الجريريّ في « الجليس الصالح الكافي » (٣/ ٣٤٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨/ ١٩٨) ، والأبيات في « ديوان الأفوه الأَوديّ » (ص ١٠٤) ، وذكر ابن عساكر : أن سيدنا معاوية رضي الله عنه طلب من سيدنا ابن الزبير رضي الله عنهما أن ينشده ثلاثة أبيات من أجمع ما قالته العرب ، قال : (نعم يا أمير المؤمنين ؛ بثلاث مئة ألف . . .) وأنشده هٰذه الأبيات وحُمل المال إلىٰ بيته .

(٤) أورد الأبيات في « معجم الأدباء » (٥/ ٢٨٩) ؛ وفيه : (الصبر خيرٌ وخير القول . . .) ، و« محاضرات الأدباء » (١/ ٥١٠) .

فأَحزَمُ الناسِ مَن يلقىٰ أعادِيَهُ في جسمِ حِقْدٍ وثوبٍ من مَوَدَّاتِ
الرِّفْقُ يُمْنٌ وخيرُ القَولِ أصدَقُهُ وكثرةُ المَزْحِ مفتاحُ العَداواتِ

وأُنشدتُ عن الربيع للشافعيِّ رحمه الله تعالىٰ[1] : [من البسيط]

لمَّا عفَوتُ ولم أحقِدْ علىٰ أحدٍ أرَحْتُ نفسِيَ من هَمِّ العَداواتِ
إنِّي أُحيِّي عدوِّي عندَ رؤيتِهِ لأدفعَ الشَّرَّ عنِّي بالتَّحيَّاتِ
وأُظهِرُ البِشْرَ للإنسانِ أُبغِضُهُ كأنَّما قد حَشا قلبي مَحبَّاتِ
ولستُ أسلَمُ ممَّن لستُ أذكرُهُ فكيف أسلمُ من أهلِ المودَّاتِ
الناسُ داءٌ دواءُ الناسِ تركُهُمُ وفي الجَفا لهمُ قَطعُ الأُخوّاتِ
فخالقِ الناسَ وٱصبِرْ ما بقيتَ لهُمْ أصمَّ أبكمَ أعمىٰ ذا تَقيَّاتِ

وليس ـ وإن كان بتألُّف الأعداء مأموراً ، وإلىٰ مقاربتهم مندوباً ـ **ينبغي أن يكون إليهم راكناً** ، وبهم واثقاً ، **بل يكون منهم علىٰ حذر** ، ومن مكرهم علىٰ تحرُّز ؛ **فإنَّ العداوة إذا استحكمت في الطباع** . . صارت **طبعاً لا يستحيل** ، وجِبلَّةً لا تزول ، **وإنَّما يستكفُّ بالتألُّف إظهارَها** ، ويستدفعُ به أضرارَها ؛ **كالنارِ يُستدفَع بالماء إحراقُها** ، ويُستفادُ به إنضاجُها وإن كانت محرِقةً بطبعٍ لا يزول ، وجوهرٍ لا يتغيَّر .

وقال الشاعر[2] : [من الكامل]

وإذا عجزْتَ عنِ العدوِّ فدارِهِ وامزِجْ لَهُ إنَّ المِزاجَ وِفاقُ
فالنارُ بالماءِ الذي هو ضِدُّها تعطي النِّضاجَ وطبْعها الإحراقُ

* * *

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ٤٢) ، والأربعة الأولىٰ في « مناقب الشافعي » للبيهقي (٢/ ٨٧) ، والبيت الخامس في النسخ ما عدا (ج) هٰكذا :

النـاسُ داءٌ وداءُ النـاس قُربُهُمُ وفي ٱعتزالهمُ قَطعُ المودَّاتِ

(٢) البيتان لابن نباتة السعديّ في « ديوانه » (٢/ ٢٧٢ـ ٢٧٣) ، وفي (ب ، ج ، هـ) : (وامزح له إن المزاح) .